المجلة العلمية المُحكمة للأكاديمية العربية الدولية
The Scientific Journal of the International Arab Academy
IUU Membership Certificate No.: 1102202600217 - Arab Impact Factor Certificate No.: 287
ISSN (ONLINE): 1858 – 8441 – ISSN (PRINT): 1858 - 845X

(8)

الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة في ضوء قوله تعالى: { ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة }

دراسة تفسيرية موضوعية

Calling to Allah with Wisdom and Good Instruction in Light of Allah's Saying: "Invite to the Way of Your Lord with Wisdom and Good Instruction" A Thematic Exegetical Study

A Field Study Analyzing Challenges and Opportunities

د. بتول إبراهيم سعيد عمر
أستاذ مساعد بكلية الدعوة والدراسات الإسلامية - جامعة الضعين
Email: Batoollsaeed123@gmail.com

د. مكة عبدالله عبدالهادي عاجب
أستاذ مساعد بكلية الدعوة والدراسات الإسلامية - جامعة الضعين
Email: mktbdallh26@gmail.com

2026

المجلة العلمية المُحكمة للأكاديمية العربية الدولية
The Scientific Journal of the International Arab Academy
IUU Membership Certificate No.: 1102202600217 - Arab Impact Factor Certificate No.: 287
ISSN (ONLINE): 1858 - 8441 - ISSN (PRINT): 1858 - 845X

المستخلص :

يهدف هذا البحث إلى بيان المنهج القرآني في الدعوة إلى الله تعالى من خلال قوله سبحانه: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1] ، وبيان الدلالات التفسيرية والتربوية والدعوية التي اشتملت عليها الآية الكريمة، مع إبراز مفهوم الحكمة والموعظة الحسنة وضوابطهما، وأثرهما في نجاح الدعوة وتحقيق مقاصدها. واعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي القائم على استقراء أقوال المفسرين وتحليلها، والمنهج الاستنباطي لاستخراج الهدايات والدلالات الدعوية من الآية الكريمة، مع الإفادة من المصادر الأصيلة في التفسير وعلوم القرآن والدعوة الإسلامية. وقد توصل البحث إلى أن الحكمة والموعظة الحسنة تمثلان أساس المنهج القرآني في الدعوة، وأن مراعاة أحوال المدعوين واختيار الأسلوب المناسب من أهم أسباب قبول الدعوة وتأثيرها، كما أن الجمع بين الحكمة والرفق والجدال بالتي هي أحسن يحقق مقاصد الشريعة في هداية الناس وإصلاحهم.

الكلمات المفتاحية: الدعوة إلى الله، الحكمة، الموعظة الحسنة، التفسير الموضوعي، سورة النحل، المنهج الدعوي.

Abstract

This study aims to examine the Qur›anic methodology of calling people to Allah through the verse: "Invite to the way of your Lord with wisdom and good instruction, and argue with them in the best manner" (Qur›an 16:125). The research explores the interpretive, educational, and missionary implications of the verse while clarifying the concepts of wisdom and good admonition and their role in the success of Islamic da›wah. The study adopts the descriptive–analytical approach by surveying and analyzing the opinions of Qur›anic exegetes, in addition to the deductive approach to derive guidance and educational lessons from the verse. The findings reveal that wisdom and good admonition constitute the fundamental principles of the Qur›anic methodology of da›wah. Furthermore, understanding the circumstances of the audience and selecting appropriate methods of communication

(1) [النحل: 125]

المجلة العلمية المُحكمة للأكاديمية العربية الدولية
The Scientific Journal of the International Arab Academy
IUU Membership Certificate No.: 1102202600217 - Arab Impact Factor Certificate No.: 287
ISSN (ONLINE): 1858 - 8441 - ISSN (PRINT): 1858 - 845X

are among the key factors for the acceptance and effectiveness of the Islamic message. The study also concludes that combining wisdom, gentleness, and courteous dialogue fulfills the objectives of Islamic law in guiding and reforming individuals and societies.

Keywords: Islamic Da›wah, Wisdom, Good Admonition, Thematic Interpretation, Surah An-Nahl, Qur›anic Methodology.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن الدعوة إلى الله تعالى من أشرف الوظائف وأعظم الرسالات، إذ بها يتحقق تبليغ دين الله وإقامة الحجة على الخلق، وهي المهمة التي اضطلع بها جميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام. وقد رسم القرآن الكريم للدعاة منهجًا متكاملًا يقوم على الحكمة والرفق واللين، بعيدًا عن الغلظة والعنف، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [1].

وتعد هذه الآية أصلًا عظيمًا في بيان أساليب الدعوة الإسلامية، إذ جمعت أصول الخطاب الدعوي، وربطت نجاح الدعوة بحسن الأسلوب، ومراعاة اختلاف أحوال الناس، واختيار الوسيلة المناسبة لكل فئة. ومن هنا تأتي أهمية دراسة هذه الآية دراسة تفسيرية موضوعية تستجلي معانيها، وتبرز دلالاتها الدعوية والتربوية، وتبين كيفية الإفادة منها في مواجهة التحديات المعاصرة.

مشكلة البحث :

تكمن مشكلة البحث في الحاجة إلى إبراز المنهج القرآني الصحيح في الدعوة إلى الله في ظل تعدد الأساليب الدعوية المعاصرة، وما قد يعتري بعضها من إفراط أو تفريط، وذلك من خلال الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1 - ما المقصود بالحكمة والموعظة الحسنة في الآية الكريمة؟

2 - ما أبرز الدلالات التفسيرية والدعوية المستفادة من الآية؟

3 - كيف أسهمت الحكمة والموعظة الحسنة في نجاح الدعوة الإسلامية؟

4 - ما التطبيقات المعاصرة للمنهج القرآني في الدعوة إلى الله؟

أهداف البحث :

يسعى البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

(1) [النحل: 125]

المجلة العلمية المُحكمة للأكاديمية العربية الدولية
The Scientific Journal of the International Arab Academy
IUU Membership Certificate No.: 1102202600217 - Arab Impact Factor Certificate No.: 287
ISSN (ONLINE): 1858 - 8441 - ISSN (PRINT): 1858 - 845X

1. بيان مفهوم الدعوة إلى الله في القرآن الكريم.
2. توضيح معنى الحكمة والموعظة الحسنة في ضوء أقوال المفسرين.
3. استنباط الدلالات التفسيرية والدعوية من الآية الكريمة.
4. إبراز أثر الحكمة والموعظة الحسنة في نجاح الدعوة الإسلامية.
5. تقديم تطبيقات دعوية معاصرة مستمدة من الهدي القرآني.

أهمية البحث :

تتجلى أهمية البحث فيما يأتي:

1 – بيان المنهج القرآني الأصيل في الدعوة إلى الله.

2 – إبراز مكانة الحكمة والموعظة الحسنة في نجاح العمل الدعوي.

3 – الإفادة من توجيهات القرآن الكريم في معالجة القضايا الدعوية المعاصرة.

4 – إثراء الدراسات التفسيرية الموضوعية المتعلقة بآيات الدعوة.

5 – تزويد الدعاة والباحثين بمنهج علمي مستند إلى القرآن الكريم في ممارسة الدعوة.

منهج البحث :

اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، وذلك باستقراء أقوال المفسرين في تفسير الآية الكريمة، وتحليل دلالاتها اللغوية والشرعية والدعوية، كما اعتمد المنهج الاستنباطي لاستخراج الهدايات والأحكام والفوائد التربوية والدعوية المستفادة من الآية، مع توثيق النصوص والآراء من مصادرها الأصلية وفق الأصول العلمية المتبعة في البحوث الأكاديمية.

المبحث الأول :

المطلب الاول : مفهوم الدعوة إلى الله والحكمة والموعظة الحسنة في القرآن الكريم :

تُعدُّ الدعوة إلى الله تعالى من أجلِّ الأعمال وأعظم الوظائف الشرعية التي اطلع بها الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، إذ قامت رسالاتهم على هداية الناس إلى توحيد الله تعالى، وتعريفهم بربهم، وإخراجهم من ظلمات الشرك والجهل إلى نور الإيمان والعلم، ومن الانحراف والضلال إلى الاستقامة والصلاح. ولذلك لم تكن الدعوة في التصور الإسلامي عملاً هامشيًّا أو نشاطًا اجتماعيًّا محضًا، وإنما هي رسالة شرعية ذات أبعاد عقدية وأخلاقية وتربوية وإصلاحية، تستهدف بناء الإنسان وإصلاح المجتمع وتحقيق العبودية لله تعالى.

وقد بيَّن القرآن الكريم مكانة الدعوة ورفعة شأنها، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا

المجلة العلمية المُحكمة للأكاديمية العربية الدولية
The Scientific Journal of the International Arab Academy
IUU Membership Certificate No.: 1102202600217 - Arab Impact Factor Certificate No.: 287
ISSN (ONLINE): 1858 - 8441 - ISSN (PRINT): 1858 - 845X

وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [1].

والاستفهام في الآية يفيد التعظيم والتنويه بشأن هذا القول؛ لأن الداعي إلى الله لا يقتصر أثره على نفسه، وإنما يسعى إلى إصلاح غيره وهدايته، مع اقتران الدعوة بالعمل الصالح والالتزام بما يدعو إليه. ومن هنا يظهر أن الداعية في المنهج القرآني مطالب بأن يكون سلوكه شاهدًا على صحة دعوته، وأن يجمع بين القول والعمل، فلا تكون دعوته مجرد خطاب نظري منفصل عن الواقع.

أولًا: مفهوم الدعوة إلى الله تعالى :

1. الدعوة في اللغة

الدعوة في اللغة مأخوذة من الفعل "دعا"، وهو من الألفاظ العربية الواسعة الدلالة، ويأتي بمعنى النداء، والطلب، والحث، والسؤال، والحض على الشيء. ومنه قوله تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾[2] ، أي الدعوة الصحيحة الثابتة التي لا يعتريها باطل. كما يأتي الدعاء بمعنى الطلب والتوجه إلى الله تعالى، ومنه قوله سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [3] .

وعليه فإن أصل مادة "دعا" يدل على توجيه الخطاب إلى الغير بقصد استمالته إلى أمر معين أو حثه عليه، سواء أكان ذلك الأمر خيرًا أم شرًّا، إلا أن لفظ الدعوة إذا أطلق في المجال الشرعي على سبيل الإضافة إلى الله تعالى، انصرف إلى الدعوة إلى توحيده وطاعته واتباع منهجه [4] .

2. الدعوة إلى الله في الاصطلاح

تعددت عبارات العلماء والباحثين في تعريف الدعوة إلى الله، غير أن هذه التعريفات تلتقي في مضمونها العام، وهو حث الناس على الإيمان بالله تعالى، واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم، والتمسك بشريعته، وإصلاح الاعتقاد والسلوك والأخلاق.

وتقوم الدعوة الإسلامية على مجموعة من العناصر المتكاملة، أهمها: الداعي، والمدعو، والمضمون الدعوي، والوسيلة والأسلوب، والغاية المقصودة من الدعوة. ولا يمكن أن تؤدي الدعوة وظيفتها على الوجه الصحيح إلا إذا توافرت لهذه العناصر الضوابط الشرعية والعلمية والأخلاقية.

وقد أكد القرآن الكريم أن الدعوة الصحيحة لا بد أن تقوم على العلم والبصيرة، فقال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [5]. فالبصيرة هنا تدل على العلم واليقين والفهم الصحيح لما يدعو إليه المسلم، بما

(1) [فصلت: 33] .
(2) [الرعد: 14] .
(3) [غافر: 60]
(4) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 1414هـ، مادة "دعا".
(5) [يوسف: 108].

المجلة العلمية المُحكمة للأكاديمية العربية الدولية
The Scientific Journal of the International Arab Academy
IUU Membership Certificate No.: 1102202600217 - Arab Impact Factor Certificate No.: 287
ISSN (ONLINE): 1858 - 8441 - ISSN (PRINT): 1858 - 845X

يحول دون أن تتحول الدعوة إلى مجرد آراء شخصية أو انفعالات عاطفية. وقد ذكر المفسرون أن الدعوة إلى الله ينبغي أن تقوم على علم بما يُدعى إليه، وعلم بأحوال المدعوين، ومعرفة بالطريق الذي تتحقق به الهداية والإصلاح [1] .

ومن ثم فإن الدعوة في القرآن الكريم ليست مجرد تبليغ للمعلومات الدينية، وإنما هي عملية متكاملة تهدف إلى إحداث أثر إيجابي في الإنسان، من خلال تصحيح الاعتقاد، وتقويم السلوك، وترسيخ القيم، وربط الفرد بربه، وإصلاح علاقته بنفسه وبالآخرين.

3. مكانة الدعوة إلى الله في القرآن الكريم

احتلت الدعوة مكانة بارزة في القرآن الكريم، فقد وصف الله تعالى الداعي إليه بأنه صاحب أحسن قول، فقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾[2] . كما جعل سبحانه الدعوة سببًا لقيام خيرية الأمة، فقال: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[3] .

وتشير هذه الآية إلى أن الدعوة تؤدي وظيفة إصلاحية في المجتمع، فهي لا تقتصر على الجانب الفردي، بل تشمل حماية المجتمع من أسباب الانحراف والفساد، ونشر الخير والمعروف، ومواجهة المنكر بالحكمة والأسلوب المناسب. ولذلك ارتبطت الدعوة في القرآن الكريم بمبدأ الإصلاح، قال تعالى عن شعيب عليه السلام: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ [4].

ومن خلال هذه النصوص يتضح أن الغاية الأساسية من الدعوة هي هداية الإنسان وإصلاحه، وليس الانتصار عليه أو إظهار تفوق الداعي في الحوار. فالداعية الناجح هو الذي يجعل غايته إيصال الحق إلى المدعو بأقرب طريق وأحسن أسلوب، مع مراعاة كرامته الإنسانية وظروفه النفسية والاجتماعية.

ثانيًا: مفهوم الحكمة في القرآن الكريم :

1. الحكمة في اللغة :

الحكمة مأخوذة من مادة "ح ك م"، وهي تدور في أصلها حول معنى المنع والضبط والإتقان. ومن ذلك الحُكم؛ لأنه يمنع من الظلم والتعدي، والحِكمة؛ لأنها تمنع صاحبها من الخطأ والزلل، وتحمله على وضع الأمور في مواضعها.

والحكيم هو الذي يحسن التصرف ويضع كل شيء في موضعه، ولذلك ارتبط مفهوم الحكمة في الاستعمال العربي بالعلم والإصابة والسداد وحسن التدبير [5].

---

(1) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، دار هجر، القاهرة، 1422هـ/2001م، ج16، ص286–289.

(2) [فصلت: 33].

(3) [آل عمران: 104].

(4) [هود: 88]

(5) ابن فارس، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، 1399هـ/1979م، ج2، ص91–92، مادة "حكم".

المجلة العلمية المُحكمة للأكاديمية العربية الدولية
The Scientific Journal of the International Arab Academy
IUU Membership Certificate No.: 1102202600217 - Arab Impact Factor Certificate No.: 287
ISSN (ONLINE): 1858 - 8441 - ISSN (PRINT): 1858 - 845X

2. الحكمة في الاصطلاح القرآني :

ورد لفظ الحكمة في القرآن الكريم في مواضع متعددة، منها قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[1] .

وقد تنوعت أقوال المفسرين في تحديد المراد بالحكمة، فقيل: هي العلم النافع، وقيل: الفقه في الدين، وقيل: الإصابة في القول والعمل، وقيل: معرفة حقائق الأشياء والعمل بمقتضى تلك المعرفة. وهذه المعاني، وإن اختلفت ألفاظها، فإنها متقاربة وتلتقي في معنى حسن الفهم والإصابة ووضع الأمور في مواضعها [2].

وقد ذكر الطبري أن الحكمة تشمل العلم بالقرآن والفقه في الدين، وإصابة القول والعمل، وهو معنى يتناسب مع طبيعة الدعوة الإسلامية التي تحتاج إلى علم صحيح وإدراك سليم للواقع وطريقة مناسبة في مخاطبة الناس [3].

كما أن الحكمة لا تعني مجرد امتلاك المعرفة، وإنما تتجاوز ذلك إلى حسن استعمال المعرفة. فقد يكون الإنسان عالمًا بمعلومة صحيحة، لكنه لا يحسن اختيار الوقت أو الأسلوب أو المخاطَب، فتكون النتيجة عكس المقصود.

ومن هنا تظهر أهمية الحكمة في العمل الدعوي؛ إذ إنها تنقل العلم من مجرد المعرفة النظرية إلى التطبيق الصحيح المؤثر.

3. الحكمة باعتبارها منهجًا دعويًا :

جاء الأمر بالحكمة في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [4] ، وهو أمر للنبي صلى الله عليه وسلم، ويدخل فيه أتباعه بحسب قدرتهم واستطاعتهم.

وتتضمن الحكمة في المجال الدعوي مراعاة أمور متعددة، منها: اختيار الألفاظ المناسبة، ومراعاة مستوى المدعو العلمي والثقافي، واختيار الوقت المناسب، والبدء بالأصول قبل الفروع، والتدرج في عرض الأحكام، والتمييز بين ما يحتاج إلى بيان تفصيلي وما يكفي فيه الإيجاز، ومراعاة الظروف النفسية والاجتماعية للمدعوين.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم نموذجًا عمليًا لهذا المنهج؛ فقد راعى أحوال الناس واختلاف مستوياتهم، وكان يختار من الأساليب ما يناسب المقام، ويجمع بين البيان والرحمة، وبين قوة الحجة وحسن الخطاب. وهذا من أهم الأسس التي ينبغي أن يراعيها الداعية في عصرنا، ولا سيما مع تعدد الثقافات وتنوع الوسائل الاتصالية وتغير طبيعة الجمهور المستهدف بالدعوة [5].

ثالثًا: مفهوم الموعظة الحسنة في القرآن الكريم :

1. الموعظة في اللغة :

(1) [البقرة: 269] .
(2) محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1384هـ/1964م، ج3، ص330–332.
(3) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، دار هجر، القاهرة، 1422هـ/2001م، ج5، ص570–574.
(4) [النحل: 125]
(5) إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط2، دار طيبة، الرياض، 1420هـ/1999م، ج4، ص613–615.

المجلة العلمية المُحكمة للأكاديمية العربية الدولية
The Scientific Journal of the International Arab Academy
IUU Membership Certificate No.: 1102202600217 - Arab Impact Factor Certificate No.: 287
ISSN (ONLINE): 1858 - 8441 - ISSN (PRINT): 1858 - 845X

الموعظة مشتقة من مادة "و ع ظ"، وهي تدل على النصح والتذكير بما يرقق القلب ويبعث على فعل الخير وترك الشر. والموعظة تتضمن في أصلها تذكير الإنسان بما ينفعه، وتحذيره مما يضره، مع مخاطبة وجدانه وتحريك شعوره نحو الخير.

ومن هنا تختلف الموعظة عن مجرد تقديم المعلومات؛ لأن الموعظة تستهدف التأثير في النفس، وإحداث التغيير في السلوك، وربط الإنسان بما يترتب على أعماله من آثار دنيوية وأخروية [1].

2. الموعظة الحسنة اصطلاحًا :

الموعظة الحسنة هي التذكير والترغيب والترهيب بأسلوب رفيق مؤثر، يقوم على حسن اختيار الكلام، ومراعاة مشاعر المخاطَب، والبعد عن القسوة والتشهير والإهانة.

وقد وصفها الله تعالى بالحسنة، فقال: ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾؛ للدلالة على أن المقصود ليس مجرد الوعظ، وإنما الوعظ الذي يتحقق فيه حسن القول وحسن الأسلوب وحسن المقصد. وقد فسر القرطبي الموعظة الحسنة بما يكون فيه من الترغيب والترهيب واللين، بما يؤدي إلى قبول الحق والانقياد له [2].

ومن ثم فإن الموعظة الحسنة تقوم على الجمع بين قوة المعنى وجمال الأسلوب، بحيث يصل الخطاب إلى العقل والقلب معًا. فإذا كان الخطاب قاسيًا أو متعاليًا أو قائمًا على التجريح، فقد ينفر المدعو من الحق بسبب سوء طريقة عرضه، حتى وإن كان مضمون الخطاب صحيحًا [3].

3. عناصر الموعظة الحسنة :

يمكن استنباط مجموعة من العناصر التي تجعل الموعظة حسنة ومؤثرة، ومن أهمها:

أ: حسن اختيار الألفاظ: بحيث تكون واضحة ومفهومة ومناسبة لمستوى المخاطَبين.

ب: الرفق واللين: فالقلوب تنفتح للكلمة الطيبة، بينما قد يؤدي العنف اللفظي إلى العناد والنفور.

ج: الترغيب والترهيب: بحيث لا يغلب جانب التخويف على الرجاء، ولا يغلب الرجاء على التحذير، وإنما يتحقق التوازن الذي يربي النفس على الخوف والرجاء.

د: مراعاة أحوال المدعوين: فليس الناس على مستوى واحد من العلم والفهم والظروف النفسية والاجتماعية.

هـ – ارتباط القول بالعمل: لأن الموعظة تكون أكثر تأثيرًا عندما يرى المدعو أثرها في سلوك الداعية نفسه.

رابعًا: العلاقة بين الحكمة والموعظة الحسنة :

جمع الله تعالى بين الحكمة والموعظة الحسنة في قوله: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾، وهذا الجمع يحمل دلالة مهمة في بناء المنهج الدعوي؛ لأن الدعوة الناجحة تحتاج إلى مخاطبة العقل والقلب معًا [4].

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، مادة "وعظ".
(2) محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ج10، ص199–201.
(3) الطبري، جامع البيان، مصدر سابق، ج16، ص286–289.
(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج4، ص613–615.

المجلة العلمية المُحكمة للأكاديمية العربية الدولية
The Scientific Journal of the International Arab Academy
IUU Membership Certificate No.: 1102202600217 - Arab Impact Factor Certificate No.: 287
ISSN (ONLINE): 1858 - 8441 - ISSN (PRINT): 1858 - 845X

فالحكمة تخاطب عقل المدعو من خلال العلم والحجة والبرهان، بينما تخاطب الموعظة الحسنة قلبه ووجدانه من خلال التذكير بالثواب والعقاب، واستحضار عظمة الله تعالى، وترقيق القلب، وتحريك الرغبة في الطاعة.

وعليه، فإن الفصل التام بين الحكمة والموعظة الحسنة قد يضعف العملية الدعوية؛ لأن الاقتصار على الحجة العقلية قد يجعل الخطاب جافًّا لا يلامس وجدان الإنسان، في حين أن الاقتصار على الوعظ العاطفي دون علم وبصيرة قد يؤدي إلى خطاب غير منضبط أو غير قادر على معالجة الشبهات والأسئلة الفكرية. [1]

والمنهج القرآني يجمع بين الأمرين؛ فيخاطب الإنسان بما يناسب عقله، ويؤثر في قلبه، ويراعي واقعه، ويقوده إلى الحق بأسلوب متدرج متوازن.

خامسًا: الجدال بالتي هي أحسن وعلاقته بالحكمة والموعظة الحسنة :

لم تقتصر الآية الكريمة على الحكمة والموعظة الحسنة، بل أتبعتهما بقوله تعالى: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[2]. وهذا يدل على أن الدعوة القرآنية تراعي اختلاف أحوال المدعوين وطرائق مخاطبتهم.

فالناس ليسوا سواء في درجة الفهم والاستجابة؛ فمنهم من يقبل الحق بمجرد البيان، ومنهم من يحتاج إلى التذكير والترغيب، ومنهم من يثير الشبهات أو يعترض على الحق فيحتاج إلى الحوار والجدال بالحجة والبرهان. ولهذا جاء التعبير القرآني بـ"التي هي أحسن"، أي اختيار أحسن الطرق وأقومها وأبعدها عن التعصب والخصومة الشخصية. [3]

والجدال المحمود في المنهج القرآني ليس غايته إسقاط الخصم أو إهانته، وإنما الوصول إلى الحق وإقامة الحجة وإزالة الشبهة. ولذلك ينبغي أن يقوم على احترام الإنسان، وحسن الاستماع، والإنصاف، والابتعاد عن السخرية والتجريح، مع الثبات على الحق وعدم التنازل عن المبادئ الشرعية.

سادسًا: الرفق واللين أساس في الدعوة إلى الله :

أكد القرآن الكريم أهمية الرفق واللين في التعامل مع الناس، فقال تعالى مخاطبًا النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [4] .

فالآية تبين أن لين الجانب وحسن التعامل من أسباب اجتماع الناس حول الداعية، وأن الغلظة وسوء الخلق قد تكون سببًا في نفورهم حتى من الحق الذي يدعو إليه. وهذا أصل مهم في العمل الدعوي؛ إذ ينبغي للداعية أن يدرك أن الناس قد يحتاجون إلى الرحمة قبل حاجتهم إلى كثرة الكلام. [5]

ويتأكد هذا المعنى في قصة موسى وهارون عليهما السلام عندما أمرهما الله تعالى بدعوة فرعون، فقال سبحانه:

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ج10، ص201.
(2) [النحل: 125]
(3) محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق النجاة، بيروت، 1422هـ، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قومًا دون قوم كراهية أن لا يفهموا، حديث رقم (127).
(4) مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، كتاب الفضائل، باب مباعدته صلى الله عليه وسلم للآثام، حديث رقم (2594).
(5) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج4، ص613–615.

المجلة العلمية المُحكمة للأكاديمية العربية الدولية
The Scientific Journal of the International Arab Academy
IUU Membership Certificate No.: 1102202600217 - Arab Impact Factor Certificate No.: 287
ISSN (ONLINE): 1858 - 8441 - ISSN (PRINT): 1858 - 845X

﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [1].فإذا كان اللين مطلوبًا مع فرعون، مع ما عُرف عنه من الطغيان والظلم، فإن مراعاته في دعوة عامة الناس أولى وأحرى. [2]

ومن هنا يتضح أن اللين لا يعني الضعف أو التنازل عن الحق، وإنما يعني اختيار الأسلوب الذي يحقق المقصود الشرعي بأقل قدر من النفور والمواجهة. فالداعية مطالب بالثبات على الحق، مع حسن عرضه، والرحمة بالمدعوين، والصبر على أخطائهم. [3]

سابعًا: البصيرة والعلم شرط في نجاح الدعوة :

من أهم الأسس التي يقوم عليها المنهج الدعوي القرآني العلم والبصيرة، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [4].

والبصيرة تعني أن يكون الداعي على علم بما يدعو إليه، وأن يكون قادرًا على التمييز بين الصحيح والخطأ، وبين الأصول والفروع، وبين ما يصلح لكل مقام وما لا يصلح. كما تشمل معرفة أحوال المدعوين، حتى لا يقدم لهم خطابًا منفصلًا عن واقعهم. [5]

ومن الأخطاء التي قد تضعف العمل الدعوي أن يتصدر الإنسان للحديث في مسائل لا يحسنها، أو أن ينقل معلومات غير موثقة، أو أن يعالج قضايا معقدة بأسلوب سطحي. ولهذا فإن العلم يمثل صمام أمان للعمل الدعوي، والحكمة تمثل الوسيلة التي يتم بها توظيف هذا العلم في المكان والزمان والأسلوب المناسب. [6]

ثامنًا: الدلالات الدعوية لقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ :

يمكن استنباط جملة من الدلالات الدعوية من الآية الكريمة، من أبرزها:

1. أن الدعوة إلى الله عبادة ورسالة إصلاحية، وليست وسيلة لتحقيق مصالح شخصية أو انتصار للذات.
2. أن العلم أساس الدعوة، ولذلك قُرن المنهج الدعوي بالبصيرة والحكمة.
3. أن اختلاف المدعوين يقتضي اختلاف الأساليب؛ فليس كل الناس يخاطبون بطريقة واحدة.
4. أن الحكمة تعني وضع الخطاب في موضعه المناسب، واختيار الأسلوب الذي يحقق المقصود.
5. أن الموعظة ينبغي أن تكون حسنة، أي بعيدة عن القسوة والتشهير والإهانة.
6. أن الحوار مع المخالف ينبغي أن يكون بأحسن الطرق، مع المحافظة على الأدب والإنصاف.

---

(1) [طه: 44].
(2) الطبري، جامع البيان، مصدر سابق، ج16، ص289.
(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج5، ص103–104.
(4) [يوسف: 108]
(5) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ج10، ص201.
(6) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1420هـ/2000م، ص452–453.

المجلة العلمية المُحكمة للأكاديمية العربية الدولية
The Scientific Journal of the International Arab Academy
IUU Membership Certificate No.: 1102202600217 - Arab Impact Factor Certificate No.: 287
ISSN (ONLINE): 1858 - 8441 - ISSN (PRINT): 1858 - 845X

7. أن الغاية من الدعوة هداية الناس وإصلاحهم، لا مجرد الانتصار في النقاش.

8. أن الأخلاق جزء أصيل من المنهج الدعوي، فالأسلوب الدعوي لا ينفصل عن شخصية الداعية وسلوكه.

وبذلك يتضح أن الآية الكريمة رسمت منهجًا متكاملًا للدعوة، يبدأ بالحكمة، ويستعين بالموعظة الحسنة، ويستخدم الحوار بالتي هي أحسن عند الحاجة، مع المحافظة على الرفق والرحمة والبصيرة. [1]

يتبين من خلال ما سبق أن مفهوم الدعوة إلى الله في القرآن الكريم يقوم على تبليغ الحق وهداية الناس وإصلاحهم، وأن الدعوة لا تؤدي رسالتها بصورة صحيحة إلا إذا تأسست على العلم والبصيرة، واقترنت بالحكمة وحسن الخطاب.

كما أن الحكمة تمثل الجانب المنهجي في الدعوة، إذ تقتضي وضع الأمور في مواضعها، ومراعاة اختلاف المدعوين، واختيار الوسيلة والأسلوب المناسبين، بينما تمثل الموعظة الحسنة الجانب الوجداني والتربوي الذي يخاطب القلب ويحفز النفس على الخير. أما الجدال بالتي هي أحسن فيمثل وسيلة للحوار مع من يحتاج إلى المناقشة وإزالة الشبهات. [2]

ومن ثم فإن قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ يمثل أصلًا قرآنيًا جامعًا لمنهج الدعوة، يجمع بين صحة المضمون وحسن الأسلوب، وبين قوة الحجة ورحمة الخطاب، ويوازن بين مخاطبة العقل والقلب، بما يحقق المقصد الأعظم للدعوة، وهو هداية الإنسان وإصلاحه وتقويم سلوكه في ضوء كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. [3]

مفهوم الدعوة إلى الله والحكمة والموعظة الحسنة في القرآن الكريم

تُعد الدعوة إلى الله تعالى من أعظم المقاصد التي بعث الله بها الرسل والأنبياء عليهم السلام، وهي وظيفة شرعية تقوم على تبليغ رسالة الإسلام، وتعريف الناس بربهم، ودعوتهم إلى توحيده وامتثال أوامره واجتناب نواهيه. وقد تكرر الأمر بالدعوة في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، ومن أبرزها قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [4] ، وقوله سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [5] ، مما يدل على رفعة منزلة الدعوة ومكانتها في الإسلام.

وقد عرّف العلماء الدعوة بأنها: دعوة الناس إلى الإيمان بالله تعالى، واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم، والعمل بشريعته قولاً وعملاً، وفق منهج يقوم على البصيرة والعلم والرفق. ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ [6] ، فالبصيرة شرط أساس في نجاح الدعوة وصحة منهجها. [7]

(1) وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ط2، دار الفكر المعاصر، دمشق، 1418هـ/1998م، ج14، ص267–271.
(2) سيد قطب، في ظلال القرآن، ط17، دار الشروق، القاهرة، 1412هـ/1992م، ج4، ص2200–2203.
(3) الطبري، جامع البيان، مصدر سابق، ج16، ص286–291.
(4) [النحل: 125]
(5) [فصلت: 33]
(6) [يوسف: 108]
(7) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، دار هجر، القاهرة، 1422هـ/2001م، ج16، ص286–289.

المجلة العلمية المُحكمة للأكاديمية العربية الدولية
The Scientific Journal of the International Arab Academy
IUU Membership Certificate No.: 1102202600217 - Arab Impact Factor Certificate No.: 287
ISSN (ONLINE): 1858 - 8441 - ISSN (PRINT): 1858 - 845X

أما الحكمة فهي من أعظم الوسائل التي أمر الله بها الدعاة، وقد وردت في القرآن الكريم بمعانٍ متعددة، منها: العلم النافع، والفقه في الدين، وإصابة الحق، ووضع الأمور في مواضعها، وحسن التصرف في تبليغ الدعوة. قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [1]. وذكر الطبري أن الحكمة تشمل العلم بالقرآن، والفقه في الدين، وإصابة القول والعمل، بينما رجح ابن كثير أن الحكمة هي وضع الأمور في مواضعها والدعوة بالعلم والرفق واللين. [2]

وتظهر الحكمة في الدعوة من خلال مراعاة أحوال المدعوين، واختيار الوقت المناسب، والأسلوب الأمثل، والتدرج في الخطاب، والبدء بالأهم فالمهم، اقتداءً بمنهج النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته، فقد كان يخاطب كل قوم بما يناسب عقولهم وأحوالهم، ويجمع بين التعليم والرحمة، وبين البيان والرفق، تحقيقًا لمقاصد الشريعة في هداية الناس وإصلاحهم. [3]

وأما الموعظة الحسنة فهي التذكير الذي يرقق القلوب، ويبعث على الامتثال، ويزجر عن المعصية، بأسلوب رفيق مؤثر يخلو من الغلظة والتعنيف. وقد وصفها القرآن بالحسنة؛ لأنها تقوم على الترغيب والترهيب، مقرونين بالرحمة وحسن الخطاب. ويرى القرطبي أن الموعظة الحسنة هي الكلام اللين الذي يقبل عليه السامع، وتأنس به النفس، ويكون سببًا في قبول الحق والعمل به. [4]

وقد جمع الله تعالى في هذه الآية بين الحكمة والموعظة الحسنة؛ لأن الدعوة تحتاج إلى مخاطبة العقل بالحجة والبرهان، كما تحتاج إلى مخاطبة القلب بالتذكير والترغيب، فلا يكتمل المنهج الدعوي إلا بهما معًا.

ثم ختمت الآية بقوله تعالى: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، إشارة إلى أن الحوار مع المخالفين ينبغي أن يقوم على حسن الأدب، وقوة الدليل، والبعد عن التعصب والإساءة، وهو منهج قرآني أصيل يجمع بين الثبات على الحق وحسن معاملة الناس. [5]

وتؤكد آيات القرآن الكريم أن نجاح الدعوة مرتبط بحسن الخلق ولين الجانب، كما في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [6] ، وقوله سبحانه لموسى وهارون عليهما السلام عند دعوة فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [7] . وهذا يدل على أن الحكمة والموعظة الحسنة ليستا مجرد وسيلتين بل هما أصل من أصول الدعوة الإسلامية، وركيزة لتحقيق مقاصدها في هداية الخلق وإقامة الحجة عليهم. [8]

المبحث الثاني :

(1) [البقرة: 269]
(2) إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط2، دار طيبة، الرياض، 1420هـ/1999م، ج4، ص613–615.
(3) المرجع السابق، ج4، ص614.
(4) محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1384هـ/1964م، ج10، ص199–201.
(5) المرجع السابق، ج10، ص201.
(6) [آل عمران: 159]
(7) [طه: 44]
(8) الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ج16، ص289؛ وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج4، ص615.

المجلة العلمية المُحكمة للأكاديمية العربية الدولية
The Scientific Journal of the International Arab Academy
IUU Membership Certificate No.: 1102202600217 - Arab Impact Factor Certificate No.: 287
ISSN (ONLINE): 1858 - 8441 - ISSN (PRINT): 1858 - 845X

الدلالات التفسيرية لقوله تعالى : ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾:

تُعد هذه الآية من أصول الدعوة الإسلامية، بل وصفها كثير من المفسرين بأنها من أجمع الآيات في بيان منهج الدعوة إلى الله تعالى؛ إذ اشتملت على وسائل الدعوة وأساليبها، وبينت المنهج الذي ينبغي أن يسلكه الداعية في تبليغ رسالة الإسلام. وقد جاءت الآية في خاتمة سورة النحل، بعد أن عرضت السورة دلائل التوحيد والنعم الإلهية ومواقف المكذبين، لتكون توجيهًا ربانيًا للنبي صلى الله عليه وسلم وللدعاة من بعده في كيفية دعوة الناس إلى الحق. [1]

وقد افتتحت الآية بفعل الأمر ﴿ادْعُ﴾، وهو أمر يفيد الوجوب في حق النبي صلى الله عليه وسلم، ويدل تبعًا على مشروعية الدعوة للأمة بحسب القدرة والاستطاعة. والمقصود بالدعوة هنا: دعوة الناس إلى دين الله وتوحيده واتباع شريعته، ولذلك أضاف سبحانه السبيل إلى نفسه فقال: ﴿إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾؛ تشريفًا لهذا الطريق، وتنبيهًا إلى أن الدعوة ينبغي أن تكون خالصة لله، بعيدة عن الأهواء والمصالح الشخصية. [2]

وجاءت الوسيلة الأولى للدعوة في قوله تعالى: ﴿بِالْحِكْمَةِ﴾، وهي تشمل العلم الصحيح، والفهم الدقيق، ووضع كل أمر في موضعه، واختيار الأسلوب المناسب لكل حال. وقد نقل الطبري أقوال السلف في تفسير الحكمة، ورجح أنها الإصابة في القول والعمل، والفقه في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. كما ذهب ابن عاشور إلى أن الحكمة هي إيراد الأدلة والبراهين التي تقنع أصحاب العقول وتزيل الشبهات، مع مراعاة اختلاف مستويات الناس العلمية والفكرية. [3]

أما الوسيلة الثانية فهي ﴿الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾، وهي خطاب القلوب بالترغيب والترهيب والتذكير بنعم الله وآلائه، مع حسن العبارة ولين الخطاب. وقد وصفها الله بالحسنة؛ لأن المقصود منها التأثير في النفوس دون تجريح أو تعنيف. ويرى القرطبي أن الموعظة الحسنة هي التي تلين بها القلوب، وتحمل النفوس على قبول الحق بمحبة ورضا، لا بقهر وإكراه. [4]

ثم انتقلت الآية إلى بيان الأسلوب الثالث وهو قوله تعالى: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، وهو منهج خاص عند مناقشة المخالفين وأصحاب الشبهات، إذ أمر الله تعالى أن يكون الحوار قائمًا على أحسن الأساليب، من حسن الخلق، ولين القول، وقوة الحجة، واحترام المخالف، بعيدًا عن السباب والخصومة. ويؤكد الرازي أن الجدال المأمور به هو ما كان لإظهار الحق وإزالة الشبهة، أما الجدال القائم على التعصب والانتصار للنفس فليس من هدي القرآن. [5]

وتكشف الآية عن تدرج بديع في وسائل الدعوة؛ فبدأت بالحكمة التي تناسب أصحاب العلم والعقول، ثم بالموعظة الحسنة التي تخاطب عامة الناس، ثم بالجدال بالتي هي أحسن لمن يعارض أو يناقش، مما يدل على أن الداعية مطالب بمراعاة أحوال المدعوين، واختيار الوسيلة الأنسب لكل فئة. وهذا من كمال التشريع الإسلامي وشموله لمختلف

(1) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، دار هجر، القاهرة، 1422هـ/2001م، ج16، ص286–290.

(2) إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط2، دار طيبة، الرياض، 1420هـ/1999م، ج4، ص613–615.

(3) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، ج14، ص321–325.

(4) محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1384هـ/1964م، ج10، ص199–202.

(5) فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ، ج20، ص278–280.

المجلة العلمية المُحكمة للأكاديمية العربية الدولية
The Scientific Journal of the International Arab Academy
IUU Membership Certificate No.: 1102202600217 - Arab Impact Factor Certificate No.: 287
ISSN (ONLINE): 1858 - 8441 - ISSN (PRINT): 1858 - 845X

البيئات والطبائع الإنسانية.[1]

كما تدل الآية على أن نجاح الدعوة لا يتحقق بقوة الحجة وحدها، وإنما بحسن الأسلوب أيضًا؛ ولذلك قرن الله بين مضمون الدعوة وطريقتها، لأن النفوس مجبولة على قبول الحق إذا قُدِّم إليها برفق ولين واحترام. وقد تجسد هذا المنهج في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، الذي كان مثالًا في الحكمة والرحمة وحسن مخاطبة الناس، حتى شهد له ربه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2]

ومن خلال هذه الدلالات يتبين أن الآية الكريمة أرست قواعد المنهج الدعوي في الإسلام، وربطت بين العلم والحكمة، وبين الرحمة وحسن الخطاب، وبين قوة الدليل وجمال الأسلوب، لتبقى منهجًا خالدًا للدعاة والمصلحين في كل زمان ومكان.

المبحث الثالث :

التطبيقات الدعوية والتربوية للحكمة والموعظة الحسنة وأثرهما في نجاح الدعوة :

إن المنهج الذي قررته الآية الكريمة: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[3] ، ليس منهجًا نظريًا فحسب، وإنما هو منهج عملي صالح للتطبيق في كل زمان ومكان، وقد تجلت تطبيقاته في دعوة النبي صلى الله عليه وسلم، ثم في جهود الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم، مما يؤكد أن نجاح الدعوة مرتبط بمدى الالتزام بهذه الأصول القرآنية.[4]

وتتمثل أولى التطبيقات الدعوية في مراعاة أحوال المدعوين؛ إذ يختلف الناس في مستوياتهم العلمية والثقافية والاجتماعية، ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب كل فئة بما يناسبها، ويختار لكل مقام مقالًا. وهذا من مقتضيات الحكمة التي تعني وضع الشيء في موضعه، واختيار الأسلوب الذي يحقق المقصود من الدعوة دون إفراط أو تفريط. وقد أشار ابن القيم إلى أن الداعية الناجح هو الذي يجمع بين العلم بالحق، والعلم بأحوال الخلق، فينزل كل إنسان منزلته، ويعامله بما يناسب حاله.[5]

ومن التطبيقات المهمة أيضًا الرفق واللين في الخطاب الدعوي، فقد دلت نصوص القرآن والسنة على أن الرفق سبب لقبول الدعوة وتأثيرها في النفوس، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾[6] ، وقال سبحانه لموسى وهارون عليهما السلام عند دعوة فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[7]. وهذا يدل على أن حسن الأسلوب مقدم

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج14، ص324؛ وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج4، ص615 .
(2) [القلم: 4].
(3) [النحل: 125]
(4) إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط2، دار طيبة، الرياض، 1420هـ/1999م، ج4، ص613–616.
(5) محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ/1998م، ج1، ص87–92.
(6) [آل عمران: 159]
(7) [طه: 44]

المجلة العلمية المُحكمة للأكاديمية العربية الدولية
The Scientific Journal of the International Arab Academy
IUU Membership Certificate No.: 1102202600217 - Arab Impact Factor Certificate No.: 287
ISSN (ONLINE): 1858 - 8441 - ISSN (PRINT): 1858 - 845X

حتى مع أشد الناس طغيانًا، مما يؤكد أن الغاية لا تبرر استخدام الشدة في غير موضعها.[1]

كما يظهر أثر الحكمة في ترتيب الأولويات الدعوية، وذلك بالبدء بأصول العقيدة قبل الفروع، وبما هو أوجب قبل غيره، اقتداءً بالنبي صلى الله عليه وسلم حين بعث معاذ بن جبل إلى اليمن، فأمره أن يبدأ بدعوة الناس إلى توحيد الله قبل الانتقال إلى بقية الأحكام الشرعية. ويعد هذا التدرج من أبرز مظاهر الحكمة التي تحقق رسوخ الإيمان، وتُيسر قبول الأحكام الشرعية.[2]

ومن التطبيقات المعاصرة للآية الكريمة الإفادة من وسائل الاتصال الحديثة في نشر الدعوة، مع الالتزام بالضوابط الشرعية والأخلاقية، واختيار الخطاب المعتدل الذي يجمع بين قوة الحجة وحسن العرض، والابتعاد عن التعصب والإثارة والجدل العقيم.

فوسائل الإعلام والمنصات الرقمية أصبحت منابر مؤثرة، ولا تتحقق الاستفادة منها إلا إذا استندت إلى الحكمة، والعلم، وحسن الموعظة، ومراعاة احتياجات المجتمعات المختلفة.[3]

كما تؤكد الآية أهمية الحوار الحضاري مع المخالفين، فالإسلام يدعو إلى الحوار القائم على الاحترام المتبادل، والإنصاف، والاحتكام إلى الدليل، بعيدًا عن السخرية أو الإساءة. وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحاور أهل الكتاب والمشركين بالحجة والبرهان، ويستمع إلى آرائهم، ويجيب عن شبهاتهم، ملتزمًا بمنهج القرآن في قوله تعالى: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، وهو ما يعزز قيم التعايش، ويُظهر سماحة الإسلام وعدالته.[4]

وتبرز الآثار التربوية للحكمة والموعظة الحسنة في بناء شخصية الداعية؛ إذ تغرس فيه الإخلاص، والصبر، وسعة الصدر، والتواضع، واحترام الآخرين، كما تنعكس على المدعوين فتقوي صلتهم بالله تعالى، وترسخ فيهم الأخلاق الفاضلة، وتسهم في إصلاح الفرد والمجتمع، وتحقيق الأمن الفكري والاستقرار الاجتماعي، وهو ما يجعل الدعوة بالحكمة من أهم وسائل بناء الحضارة الإسلامية وإقامة مجتمع قائم على الرحمة والعدل والإحسان.[5]

ويتضح مما سبق أن الحكمة والموعظة الحسنة تمثلان الأساس الذي يقوم عليه المنهج الدعوي في الإسلام، وأن الالتزام بهما يحقق نجاح الدعوة واستمرار أثرها، ويجسد عالمية الرسالة الإسلامية وصلاحيتها لكل زمان ومكان، وهو ما ينبغي أن يستحضره الدعاة والمؤسسات الدعوية في برامجهم وخطابهم المعاصر.

الخاتمة :

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

(1) محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1384هـ/1964م، ج10، ص200–202.

(2) محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء، حديث رقم (1395)، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ؛ وانظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج4، ص615.

(3) يوسف القرضاوي، ثقافة الداعية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط7، 2001م، ص115–132.

(4) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، ج14، ص323–326.

(5) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، مرجع سابق، ج1، ص93–98؛ وابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج14، ص325.

المجلة العلمية المُحكمة للأكاديمية العربية الدولية
The Scientific Journal of the International Arab Academy
IUU Membership Certificate No.: 1102202600217 - Arab Impact Factor Certificate No.: 287
ISSN (ONLINE): 1858 - 8441 - ISSN (PRINT): 1858 - 845X

تناول هذا البحث المنهج القرآني في الدعوة إلى الله من خلال قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: 125]، دراسةً تفسيريةً موضوعيةً هدفت إلى إبراز الدلالات التفسيرية والتربوية والدعوية للآية الكريمة، وبيان مكانة الحكمة والموعظة الحسنة في المنهج الإسلامي، واستنباط التطبيقات العملية التي تسهم في نجاح الدعوة في مختلف البيئات والأزمنة.

وقد كشفت الدراسة عن شمول المنهج القرآني في الدعوة، وأنه يجمع بين قوة الحجة، وحسن الأسلوب، ومراعاة أحوال المدعوين، بما يحقق مقاصد الشريعة في هداية الناس وإقامة الحجة عليهم. كما أكدت أن نجاح الداعية لا يتحقق بمجرد امتلاك العلم، وإنما يحتاج إلى الحكمة، والرفق، والصبر، وحسن مخاطبة الناس، والقدرة على تنزيل الأحكام في مواضعها وفق هدي القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

النتائج :

توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

1. أن الدعوة إلى الله تعالى من أعظم وظائف الأنبياء والرسل، وهي مسؤولية شرعية مستمرة تقوم على تبليغ رسالة الإسلام بالحكمة والبصيرة.
2. أن الحكمة في القرآن الكريم تشمل العلم النافع، وفقه الشريعة، وإصابة الحق، ووضع الأمور في مواضعها، واختيار الأسلوب المناسب لكل مقام.
3. أن الموعظة الحسنة تقوم على التذكير المؤثر المقرون بالرفق واللين، وهي من أنجع وسائل التأثير في النفوس واستمالة القلوب إلى الحق.
4. أن الجدال بالتي هي أحسن يمثل منهجًا قرآنيًا راقيًا في الحوار مع المخالفين، يقوم على البرهان، واحترام الآخر، والبعد عن التعصب والإساءة.
5. أن الآية الكريمة أرست قواعد المنهج الدعوي الشامل الذي يجمع بين مخاطبة العقل بالحجة، والقلب بالموعظة، والمخالف بالحوار الحسن.
6. أن مراعاة أحوال المدعوين، واختلاف مستوياتهم العلمية والثقافية، من أهم مقتضيات الحكمة التي تؤدي إلى نجاح الدعوة.
7. أن المنهج القرآني في الدعوة صالح لكل زمان ومكان، وقادر على مواجهة التحديات الفكرية والدعوية المعاصرة.
8. أن الالتزام بالحكمة والموعظة الحسنة يسهم في ترسيخ الوسطية، ونبذ الغلو، وتعزيز التعايش، وتحقيق الأمن الفكري والاجتماعي.

التوصيات :

في ضوء النتائج التي توصل إليها البحث، يوصي بما يأتي:

المجلة العلمية المُحكمة للأكاديمية العربية الدولية
The Scientific Journal of the International Arab Academy
IUU Membership Certificate No.: 1102202600217 - Arab Impact Factor Certificate No.: 287
ISSN (ONLINE): 1858 - 8441 - ISSN (PRINT): 1858 - 845X

1. العناية بتدريس المنهج القرآني في الدعوة إلى الله ضمن المناهج الجامعية، ولا سيما في كليات الشريعة والدعوة وأصول الدين.
2. إعداد برامج تدريبية للدعاة والخطباء تُعنى بتنمية مهارات الحكمة، والحوار، والإقناع، وحسن الخطاب.
3. توجيه المؤسسات الدعوية إلى الإفادة من وسائل الإعلام والتقنيات الحديثة في نشر الدعوة وفق الضوابط الشرعية.
4. تشجيع الباحثين على إجراء المزيد من الدراسات التفسيرية الموضوعية المتعلقة بآيات الدعوة في القرآن الكريم.
5. تعزيز ثقافة الحوار بالحسنى، ونبذ التعصب، وترسيخ قيم الرحمة والرفق في الخطاب الدعوي.
6. الاستفادة من السيرة النبوية في بيان التطبيقات العملية للحكمة والموعظة الحسنة في الدعوة إلى الله.
7. الاهتمام بإعداد مناهج دعوية تراعي اختلاف البيئات والثقافات، وتقدم الخطاب الإسلامي بأسلوب يجمع بين الأصالة والمعاصرة.
8. توجيه الدعاة إلى الالتزام بالإخلاص، والعلم، والصبر، والرفق، بوصفها ركائز أساسية لنجاح الدعوة وتحقيق مقاصدها.

وبذلك يختتم هذا البحث، سائلين الله تعالى أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به الباحثين والدعاة وطلاب العلم، وأن يوفق الأمة الإسلامية إلى التمسك بمنهج القرآن الكريم في الدعوة والإصلاح، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

المصادر والمراجع :

أولاً: القرآن الكريم

1 – القرآن الكريم.

ثانياً: كتب التفسير

1. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي. زاد المسير في علم التفسير. تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1422هـ.
2. ابن عاشور، محمد الطاهر. التحرير والتنوير. الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.
3. ابن كثير، إسماعيل بن عمر. تفسير القرآن العظيم. تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط2، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، 1420هـ/1999م.
4. أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف. البحر المحيط. تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ.
5. البغوي، الحسين بن مسعود. معالم التنزيل. تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرين، ط4، دار طيبة، الرياض، 1417هـ.
6. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير). ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ.

المجلة العلمية المُحكمة للأكاديمية العربية الدولية
The Scientific Journal of the International Arab Academy
IUU Membership Certificate No.: 1102202600217 - Arab Impact Factor Certificate No.: 287
ISSN (ONLINE): 1858 - 8441 - ISSN (PRINT): 1858 - 845X

7. الطبري، محمد بن جرير. جامع البيان عن تأويل آي القرآن. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، دار هجر، القاهرة، 1422هـ/2001م.

8. القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن. تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1384هـ/1964م.

ثالثاً: كتب الحديث

1 – البخاري، محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق النجاة، 1422هـ.

2 – مسلم، مسلم بن الحجاج. صحيح مسلم. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

رابعاً: كتب الدعوة والفكر الإسلامي

1 – ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم. تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، ط7، دار عالم الكتب، الرياض، 1419هـ.

3 – ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة. ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ/1998م.

4 – القرضاوي، يوسف. ثقافة الداعية. ط7، مكتبة وهبة، القاهرة، 2001م.

5 – الندوي، أبو الحسن علي الحسني. ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين. دار القلم، دمشق، ط8، 1422هـ.

6 – الزحيلي، وهبة. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. ط2، دار الفكر المعاصر، دمشق، 1418هـ.

7 – قطب، سيد. في ظلال القرآن. ط17، دار الشروق، القاهرة، 1412هـ/1992م.

8 – عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1420هـ/2000م.

9 – عبد الكريم زيدان. أصول الدعوة. ط9، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1421هـ/2001م.

10 – علي محفوظ. هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة. دار الاعتصام، القاهرة، د. ت .

11 – وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ط2، دار الفكر المعاصر، دمشق، 1418هـ/1998م، ج14.